أروع القصص -٣-

من أنفع الدروس في تهذيب النفوس

تأليف

الشيخ أحمد القلاش

مكتبة التوبة

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ ص. ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب ١٤/٥١٣٦ التسجيل التجاري في بيروت رقم ٥ / ٧٤٢١

فهرس

محبة الدب ٤
أمك ثم أمك ثم أمك ٦
غباوة الولد وقسوة قلبه ٧
بالله قل لي ٨
قصة الفأرة ١٠
قصة اللبن ١٣
قصة اللصوص ١٥
جرة الذهب ١٧
المزرعة ١٨
آغا جوق ٢٠
الخنساء ٢٢
بروا آباءكم ٢٤
فأين الله ٢٥
العاق لأمه مسخ حماراً في قبره ٢٦
الخشبة العجيبة ٢٧
كلب وديك وحمار ٢٩
صاحبة اللبن ٣١

محبة الدب

١ ـ يحكى أن أعرابياً وجد دباً صغيراً في يوم شديد البرد فرق لما رآه يرجف من برده، وأخذه إلى خيمته قائلاً له سأدفئه وأطعمه ويلعب عليه الأولاد.

٢ ـ اعتنى الأعرابي بضيفه الصغير وقدم له كل خدمة واهتمام فأحبه الدب حباً شديداً وأصبح يرافقه أينما كان.

٣ ـ نام الرجل مرة فقام الدب على رأسه يحرسه ويحميه من ما يؤذيه. وقفت ذبابة سامة على خد صاحبه فطردها الدب عنه بلباقة ولطف، والذباب من شأنه الإلحاح، وكلما ذُبَّ آب.

٤ ـ عادت الذبابة فحطت على أذنه فطردها الدب بغضب وعنف. وأخيراً حطت هذه الذبابة الثقيلة على أنف صاحبه فنفذ صبر الدب وقال في نفسه: إن هذه الذبابة المجرمة تستحق القتل، إذ

لا ترعى لصاحبه حقاً ولا حرمة، وإن من حق الصحبة أن يدافع كل أحد عن صديقه وقت ضيقه.

٥ ـ انطلق الدب في حماسة وغيظ وأتى بحجر ملء كفه وضرب به الذبابة الواقفة على أنف صاحبه فقتلها، وانتهى الأمر بأن انكسر أنف صاحبه، ولم يشفع للدب حسن نيته، وغلوه في محبته.

٦ ـ قام الأعرابي يمسح دماءه ويقول للدب: ليس الذنب ذنبك بل ذنب من أحبك!! وطرده من بيته.

فيا أيها الطفل لا تصاحب غبياً بليداً، ولا أحمق عنيداً، يريد أن ينفعك فيضرك، وينصرك فيهلكك، واسمع قول السيد المسيح: داويت الأكمه والأبرص وأحييت الموتى بإذن الله، أما الأحمق فأعياني دواؤه وقول الشاعر الحكيم:

لكل داء دواء يستطب به
إلا الحماقة أعيت من يداويها

وإياك أن تصاحب دباً أو تسمح لدب أن يحبك.

أمك ثم أمك ثم أمك

مسكينة هذه المخلوقة التي تسمى (أماً)!!!

كم تقاسي من شدة في سبيل ولدها.

تحمله في بطنها فيزداد ثقله مع الأيام، وتقاسي من مرارة الوحم والقيء ما لا يوصف، حتى يبدأ بالحركة، فيجول في بطنها ليلاً ونهاراً يتجمع في ناحية من نواحي البطن، فيضغط عليها، كأنما يحاول تمزيق أحشائها، ثم يجول إلى ناحية أخرى فيفعل بها كما فعل بالأولى!!!

وهكذا لا يدعها تستريح لحظة، فإذا هدأ عن الحركة قلقت عليه، فأسرعت إلى القابلة تشكو أمرها خوفاً عليه، فإذا اطمأنت على سلامته فرحت واستبشرت ولا يدع الجنين أمه تهنأ بطعام أو تهدأ في منام وهو جزء عالق بها، ولكنه جزء مزعج، فإذا

دخل الشهر التاسع وأزفت ساعة خروجه إلى الدنيا جاءت الطامة.

وهنا الشدة التي لا تطاق، ثم لا يخرج في أكثر الأحيان إلاَّ قسراً وإرغاماً وكثيراً ما تموت الأم ويحيا هو.

وإذا كان لها فسحة من الأجل أفاقت بعد هذه المعركة القاسية حتى إذا ما رأته إلى جانبها تبسمت وقالت: (تقبرني)!!!

يا لله ما هذا الحنان وما هذا الإيثار تقاسي منه ما تقاسي ثم ترضى أن تموت ليحيا هو وأن يقبرها بيده.

غباوة الولد وقسوة قلبه:

يخرج الولد إلى الدنيا وتخرج معه همومه التي تحملها أمه، وهنا تبدأ حياة مرة جديدة فتقاسي الأم في إرضاعه وتربيته ما ينسيها آلام الحمل والولادة.

أنصف أيها الأقل ثم انظر مدى وفائك لها وعطفك عليها وإحسانك إليها.

بالله قل لي:

لو مرضت أمك فهل تبقى بجانب سريرها ليلتين متتاليتين من غير أن تنام ولو أنك فعلت ذلك فهل تنهض مسروراً تدعو لها بالشفاء العاجل كما كانت أمك تفعل ذلك؟!

ولو أصابت ثوبها نجاسة فهل تغسلها عنه ولو مرة واحدة كما كانت تغسل نجاستك بالليل والنهار.

ولو أن إنساناً أعطاك سكرة أو قطعة شوكولاته فهل تخبؤها لها كما كانت هي تفعل؟ وهل إذا اشتهت زوجتك (بقلاوة) فهل تحسب حساباً لأمك وتأتي بما يكفيهما أم كنت تخبؤه وتدخل بيتك سراً أو ليلاً وتغلق الباب برفق كيلا تشعر أمك، ولو أنها خرجت مرة في حاجة وتأخرت عن العودة فهل تتردد بين الباب والنافذة تترقب عودتها وقلبك يهلع خوفاً عليها كما كانت هي تفعل لو أنك تأخرت

عن ميعاد عودتك من المدرسة.

ولو أنك تزوجت وأحببت أن تأتي معك بشيء من الفستق واللوز فهل تطيب نفسك أن تدفعه إليها أولاً أم تدسه في جيبك وتدفعه إلى زوجتك؟ وهل إذا تخاصمت مع زوجتك فهل تكون معها أم عليها ولو كان الحق معها.

وهل إذا مرضت فاشتد مرضها فهل تخشى عليها الموت كما تخشاه على ولدك أو زوجتك أم تتمنى بقلبك موتها لتستريح منها[1].

(١) من صوت المنبر بتصرف يسير.

قصة الفارة

حكي أن شخصاً أحب أن يكون مستجاب الدعاء فلا يدعو بدعوة إلا استجابها الله ولو كان فيها هلاكاً.

فأتىٰ شيخاً صالحاً مستجاب الدعوة وخدمه سنين طويلة يرغب أن يدعو الشيخ له ليكون مثله، قال الشيخ: يا ولدي إن الشرط الأول لاستجابة الدعاء أن لا تأكل إلاّ الحلال وأن تكون صبوراً على الأذى حليماً طويل البال، والرسول الأعظم ﷺ لاقى أشد الأذى في الطائف: سباً وتكذيباً وضرباً بالأحجار، فما كان منه إلاّ الدعاء والاستغفار «رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون» لم يضجر من هؤلاء السفهاء ولم يغضب عليهم بل دعا لهم واعتذر منهم فهل تملك أنت من هذه الأخلاق شيئاً؟

قال الرجل: إني أعدك بأن ألتزم الصبر والحلم وأن لا أدعو إلاّ بما ينفعني وينفع الناس.

قال الشيخ: سنجرب اليوم لنرى صدقك وأمانتك وصبرك وحلمك.

قال الرجل: جرب يا سيدي فسترى ما يسرك.

ذهب الشيخ إلى بيته وأمسك فأرة حية فربطها ولفها في خرقة حرير ولف فوقها خرقة حرير من لون آخر وفوقها أخرى بلون آخر وقال للتلميذ: هذه هدية لصديقي فلان في بلدٍ قريب منّا فأوصلها إليه وإياك أن تفتحها فيخيب أملك ويضيع سعيك، قال الرجل: أمرك يا سيدي لن أعصي أمرك، وسأحتفظ بأمانتك.

خرج الشيخ معه يشيعه ويكرر وصيته بأن يحتفظ بالهدية ولا يفتحها أو يغير فيها شيئاً.

ذهب الرجل يحمل الهدية طامعاً بأن يظفر بمطلوبه من شيخه فقد آن الأوان بعد صبره الطويل.

وفي الطريق جاءه شيطان فوسوس إليه ما هذه الهدية، وما الذي جعل الشيخ يكرر وصيته إياي بحفظها، فلعلها شيء ثمين جداً وما يضر لو عرفتها ثم أعدتها بترتيبها وغطيتها.

استعاذ بالله من هذا الخاطر وصرف عنه هذا الوسواس، ثم جاءت نفسه الأمّارة فقالت له: لعل في هذه الهدية سراً مخبوءاً لو اكتشفته وصلت إلى مطلوبك واختصرت الطريق، نفذ صبره أخيراً فكشف الخرقة الأولى وهو يرتجف ثم الثانية ثم الثالثة وهو يرتعد، إذ بالفأرة قفزت في وجهه بعد أن انحل رباطها وانكشفت أغطيتها عنها.

عاد الرجل ساخطاً مغضباً وقال لشيخه: ما حملك على أن تهزأ بي وتسخر مني، الذنب ذنبي أنا الذي أضعت أيامي في خدمة مثلك.

ضحك منه الشيخ وصرفه عن خدمته وقال: يا هذا لقد ائتمنتك على فأرة فخنت الأمانة فكيف آمنك على أن تكون مجاب الدعوة لتدعو على من آذاك أذى صغيراً بأن يجعل الله له الهلاك ويسوق إليه الدمار، فخجل الرجل وانصرف عن شيخه.

قصة اللبن

كان رجل له أغنام يرعاها نهاراً ويحلبها مساءً وكان له أبوان شيخان كبيران يعيشان على هذا اللبن. فتأخر يوماً في الرعي، ثم جاء مساءً يحمل حصتهما من اللبن (الحليب) فوجدهما نائمين فكره أن يزعجهما ويوقظهما، وقال في نفسه: لعلهما يستيقظان من أنفسهما، فيشربا لبنهما وبات طول ليله يحمل اللبن بين يديه ولا تسمح نفسه أن يسقي أحداً من أهله: لا زوجته ولا ولداً حتى طلع الفجر فاستيقظا وشربا لبنهما.

ومرة كان مع رفاقه في المرعى فجاء مطر غزير وسيل جارف فآوى مع رفاقه إلى غار، فنزلت صخرة كبيرة سدت فم الغار وأيقنوا بالموت فدعا هذا الشاب ربه: يا رب إن كنت تعلم أني بار بوالديّ أسعى دائماً في رضاهما وأن مرة حملت لهما اللبن على يدي ليلة طويلة حتى استيقظا فشربا، إن كنت فعلت ذلك في سبيل رضاك ورضاهما ففرّج عنّا هذا الكرب العظيم واقلع هذه الصخرة لنخرج إلى

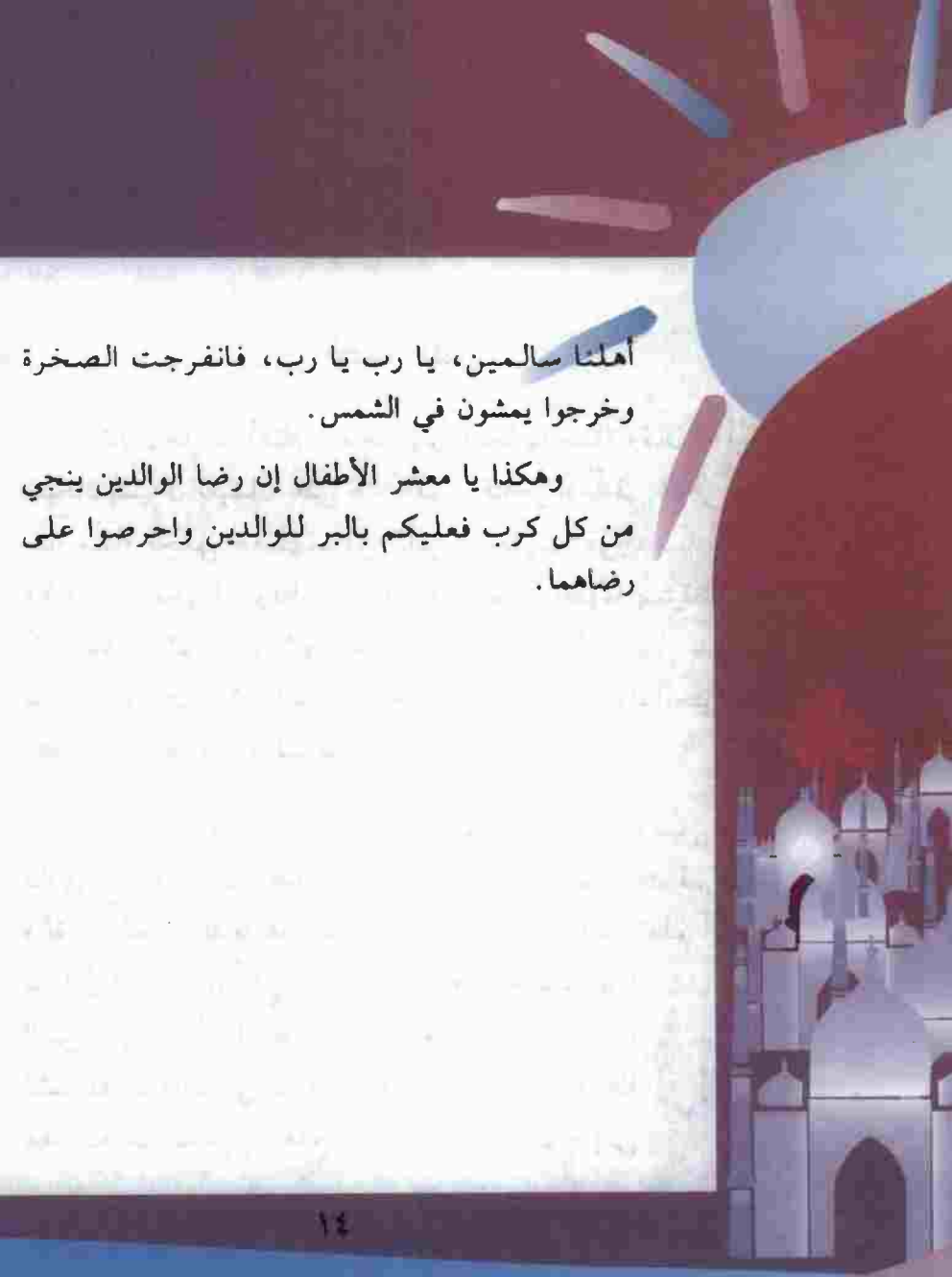

أهلنا سالمين، يا رب يا رب، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون في الشمس.

وهكذا يا معشر الأطفال إن رضا الوالدين ينجي من كل كرب فعليكم بالبر للوالدين واحرصوا على رضاهما.

قصة اللصوص

كان فيمن سبق شاب يريد الحج، وله أم عجوز هو بارٌ بها فاستأذنها في الحج، فأذنت له، وزودته عشرين دينار، خاطها في جبته من داخلها واشترطت عليه أن يلزم الصدق في جميع أحواله وقالت له: يا ولدي بايعني على الصدق فبايعها عليه.

خرج الشاب متوكلاً على الله، يقطع البراري والقفار، فخرج عليه اللصوص، قال له أحدهم: إلى أين تذهب؟ قال: إلى الحج قال: ما معك من الفلوس؟ قال: معي عشرون ديناراً، ضحك منه اللص وظنه معتوهاً لأن العاقل لا يقر للصوص بما معه من فلوس.

لقيه لص آخر فسأله كالأول، فأجابه بما أجاب به الأول، قال اللص: وأين هذه الدنانير، قال: هي في جبتي مخيط عليها من الداخل، فأخذه إلى رئيس اللصوص في الجبل، فسأله أيضاً فلم يَخَفْ، ولم يُخْفِ عنه شيئاً، ففتقوا الجبة ووجدوا الدنانير بعدتها كما قال الرجل.

قال رئيس اللصوص: يا هذا ما الذي حملك

على الصدق؟ قال الرجل: إني بايعت أمي على الصدق فلن أخون عهد أمي، فبكى الجميع، وقال الرئيس: هذا لا يخون عهد أمه وأنا أخون عهد ربي وأخيف الناس وأسلب أموالهم، أشهدكم أني تائب إلى ربي فتابوا كلهم، وهكذا ببركة الصدق نجا الرجل وتاب الجميع.

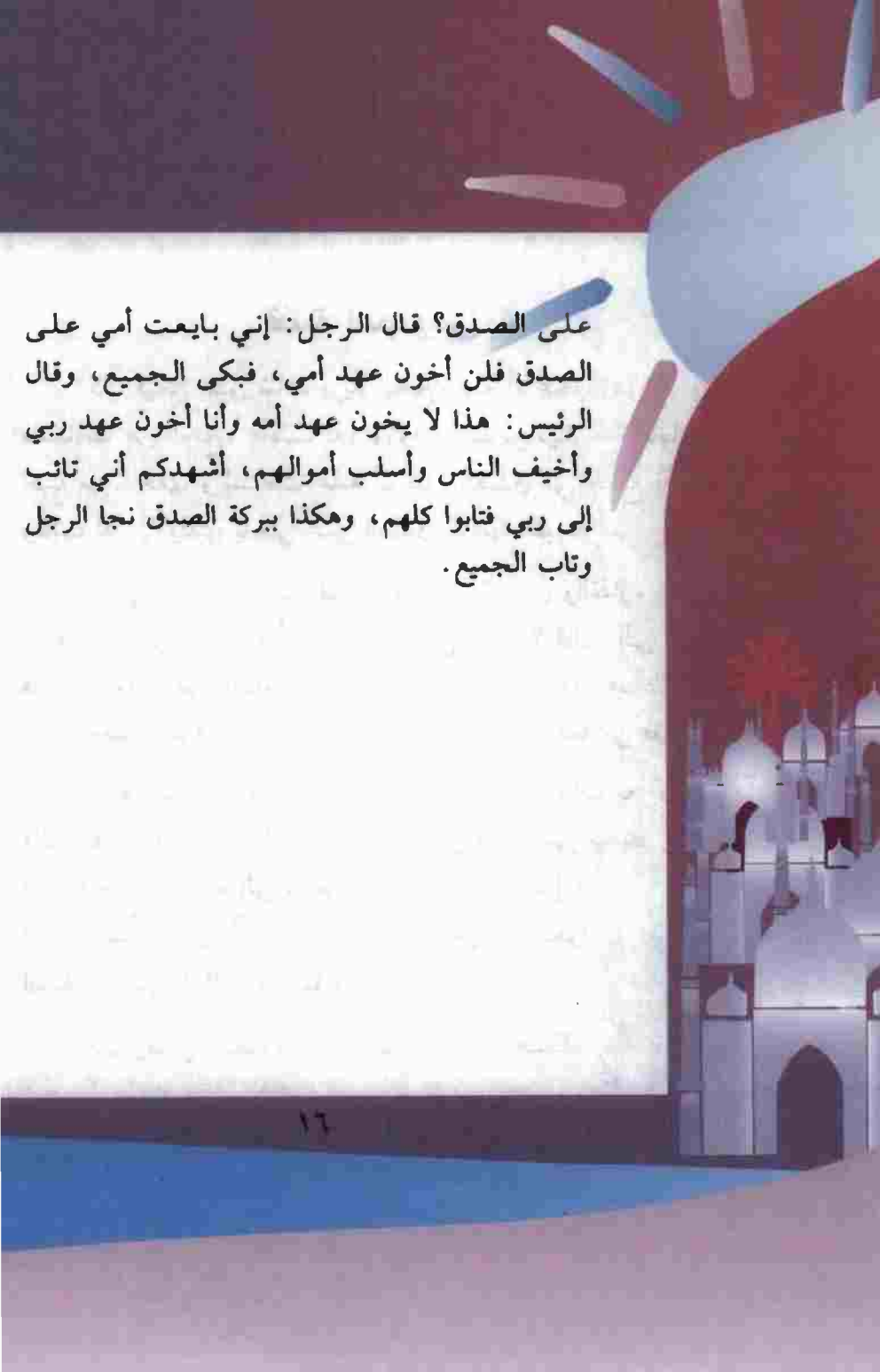

جرة الذهب

اشترى رجل من الصالحين أرضاً ليزرعها، وبينما هو يحرثها إذا بجرة ذهب مدفونة فيها.

حملها إلى من باعه الأرض وقال: يا أخي أنا اشتريت منك الأرض وحدها فخذ ذهبك بارك الله فيك، قال الرجل: ليس الذهب لي وإنما بعتك الأرض وما فيها.

اشتدت الخصومة بينهما ولم يرض أحدٌ منهما أن يأخذ ما ليس له بحق من ورعهما وتقواهما.

أشار عليهما بعض العقلاء أن يذهبا إلى القاضي ليفصل بينهما، كان القاضي ذكياً حكيماً فقال لأحدهما: ألك غلاما؟ قال: نعم، وقال للآخر: ألك جارية؟ قال: نعم، قال: زوّجوا الغلام الجارية وأنفقوا جرة الذهب عليهما. فانصرفا راضين شاكرين.

فلله هذا الورع منهما، ولله حكمة هذا القاضي وشدة فهمه كيف وفق بينهما بما ينفعهما ويرضيهما.

المزرعة

ورث اثنان من أبيهما مزرعة، وكان أحدهما متزوجاً وله عيال، والثاني شاب عزب.

زرعا معاً وحصدا معاً ثم اقتسما، وأرادا أن ينقلا البر ليلاً لأن الليل أستر، وكان المتزوج حينما ينقل يقول لزوجته: إن أخي الأصغر لم يأكل من خيرات أبيه مثل ما أخذت أنا، فزيدي من حصتنا في حصته لأنه عزب وبحاجة إلى الزواج وبناء أسرة.

وكان الأعزب يقول في نفسه: إن أخي أكبر مني وله أتعاب عليَّ، وكان يساعد والدي في كل أعماله، وله عيال فهو بحاجة إلى مصروف أكثر، فيزيد في حصته.

وكان في تقديرهما أن يفرغا من النقل في أسبوع فبارك الله لهما في رزقهما واستمرا شهراً كاملاً. وأخيراً اصطدما في ظلمة الليل، كل منهما

يظن الآخر لصاً فتصايحا وعرف كل منهما أخاه بصوته، فتعانقا باكيين، وسأل كل أخاه ماذا كنت تعمل فيخبره بنيته قصده الحسن.

سمع الملك خبرهما فأخذ شيئاً من حنطتهما وكتب معها في ورقة قصتهما، واشترى المزرعة وبناها مسجداً كذكرى لأخوين صالحين.

آغا جوق

كان عندنا في حلب تاجر تركي صالح، يعطف على الفقراء ويحب المساكين، فاشترى بُرّاً أيام موسمه وكثرته، ونوى في نفسه أن يبيعه برأسماله للفقراء في الشتاء حيث يقل الحب ويغلو، وملأ به خاناً له.

جاء الشتاء، وغلا الحب، وجاء الفقراء فأقبلوا إلى الخان ليشتروا من هذا القوت الرخيص. كثر الطلب، وازدحم الفقراء وكان المقدر أن ينتهي الحب في مدة أسبوعين فامتد البيع شهرين، وكلما سأل التاجر وكيله إلى البيع: هل بقي شيء من الحب يجيب الوكيل: (آغا جوق) أي يا آغا بقي كثير، شرح الله صدر هذا التاجر الطيب أن يقتصر على أخذ رأس ماله من قيمة هذا الحب ويبني بما زاد مسجداً، سماه آغا جوق.

وهذا المسجد الآن عام تقام فيه الصلوات

ويسمع المصلون فيه خطب الجمعة والعظات، فرحم الله أولئك الرجال الذين بليت عظامهم وخلدتهم آثارهم.

أفنى الأوس والخزرج بعضهم بعضاً فلما جاءهم رسول الرحمة والإخاء ألّف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخواناً متحابين.

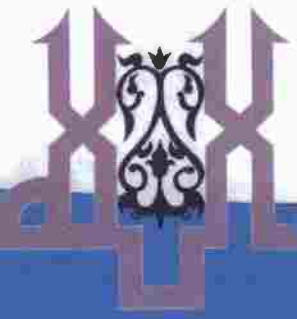

الخنساء

كان في عصر الجاهلية قبل الإسلام امرأة شريفة اسمها تماضر بنت عمرو وتلقب بالخنساء، لها أخ شجاع كريم اسمه صخر، وكان يعطف عليها كثيراً ويرعاها، ثم وقعت غارة بين قومه وعدوهم فجرح فيها جرحاً بليغاً وظل سنة يعالج جرحه فلم يبرأ ثم مات.

بدأت الخنساء تبكيه وترثيه بأشعارها وتذكر شجاعته وكرمه وإحسانه إليها، وملأت أسماع الناس من أشعارها فيه وكاد الحزن يقتلها، وهي التي تقول: ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس.

وبذلك ضرب بها المثل في النوح والبكاء، وأصبحت سيدة الشاعرات في النساء. ولما جاء الإسلام وبايعت رسول الله سيد الصابرين أصبحت

مثلاً عجيباً في الصبر والثبات في المصائب والعزاء. وإليكم قصتها بعد إسلامها.

بعثت أبناءها الشباب الأربعة لتجاهد الفرس المجوس في وقعة القادسية، وأوصتهم بأن يصبروا ولا يفروا ولو هلكوا كلهم.

جاهد الشباب مع المسلمين جهاداً كبيراً، وقتلوا من الأعداء خلقاً كثيراً، ثم وقعوا كلهم صرعى الحق شهداء في سبيل الله.

جاءها الخبر بقتلهم فلم تشق ثوبها ولم تقطع شعرها كما فعلت لما مات أخوها صخر، بل صبرت صبر المؤمنين الكرام، وقالت كلمتها الخالدة: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته) وذلكم هو الإيمان يفعل عجائب الصبر بعدما كان العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب بدافع العصبية وحب الغلبة والعزة والإثم، وهذه حرب بعاث قبل الهجرة بأربع سنوات.

بروا آباءكم

إن كنت تريد إذا رزقت أولاداً أن يبروك ويطيعوك ويحسنوا إليك فبر والديك تبرك أولادك جزاءاً وفاقاً. قال عليه الصلاة والسلام: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم».

إن الله سبحانه وتعالى قد نهاك أن يظهر منك تجاه والديك أقل شيء يؤذيهما: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ ولا ترفع صوتك عليهما حتى ولو بدا منهما ما لا تحبه فلا تنهرهما وتحملهما ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ فقد تحملا في تربيتك عناءً كثيراً.

وأحق الناس ببرك أمك: حملتك تسعة أشهر وأرضعتك وخدمتك سنين طويلة؛ تجوع لتشبع، وتسهر لتنام أنت، وتميط عنك الأذى، وتفديك بروحها وراحتها.

فأين اللّه

خرج عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مسافراً ومعه أصحابه فوضعوا سفرة للطعام فمر بهم راع، فدعاه ابن عمر للأكل معهم، فقال: إني صائم، فقال: تصوم في مثل هذا الحر وأنت ترعى الغنم؟! فقال: أغتنم أيامي الباقية، فقال: هل لك أن تبيعنا من غنمك واحدة؟ قال: إنها لسيدي لا أملكها، قال: فما يمنعك أن تقول له: أكلها الذئب؟! فولى الراعي وهو يقول: فأين الله، فأين الله؟!

قدم ابن عمر المدينة فسأل عن الغلام فاشتراه وأعتقه واشترى الغنم من سيده ووهبها له.

العاق لأمه مسخ حماراً في قبره

عن العوام بن حوشب قال: نزلت مرة حياً وإلى جانبه مقبرة، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر.

فإذا عجوز تغزل، وإذا امرأة ترى تلك العجوز قلت: ما لها؟ قالت: تلك أم هذا، قلت: وما كانت قصته؟ قالت: كان يشرب الخمر فإذا راح تقول له أمه: يا بني اتق الله إلى متى تشرب هذه الخمور، فيقول لها: إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار!!!

قالت: فمات بعد العصر، فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم، فينهق ثلاث نهقات، ثم ينطبق عليه القبر. [الترغيب والترهيب ٣/ ٣٣٢].

الخشبة العجيبة

كان فيمن كان قبلنا رجل أراد أن يقترض من آخر ألف دينار ليتجر فيها، قال الرجل: ايتني بكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، فرضي وقال: صدقت كفى بالله كفيلاً، ودفع إليه الألف دينار لشهر. خرج الرجل بتجارته فركب في البحر وباع فربح أضعافاً كثيرة.

لما حل الأجل صرّ ألف دينار وجاء ليركب في البحر ليوفّي القرض فلم يجد سفينة، انتظر أياماً فلم تأت سفينة، حزن لذلك كثيراً، وجاء بخشبة فنقرها وفرغ داخلها ووضع فيه الألف دينار ومعها ورقة فيها: اللهم إنك تعلم أني اقترضت من فلان ألف دينار لشهر، وقد حل الأجل ولم أجد سفينة، وأنه كان طلب مني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بك كفيلاً، فأوصلها إليه بلطفك يا رب، وسدّ عليها بالزفت ثم رماها في البحر. تقاذفتها الأمواج حتى أوصلتها إلى بلد المقرض وكان قد خرج إلى الساحل ينتظر مجيء الرجل بوفاء دينه فرأى هذه الخشبة، قال في نفسه:

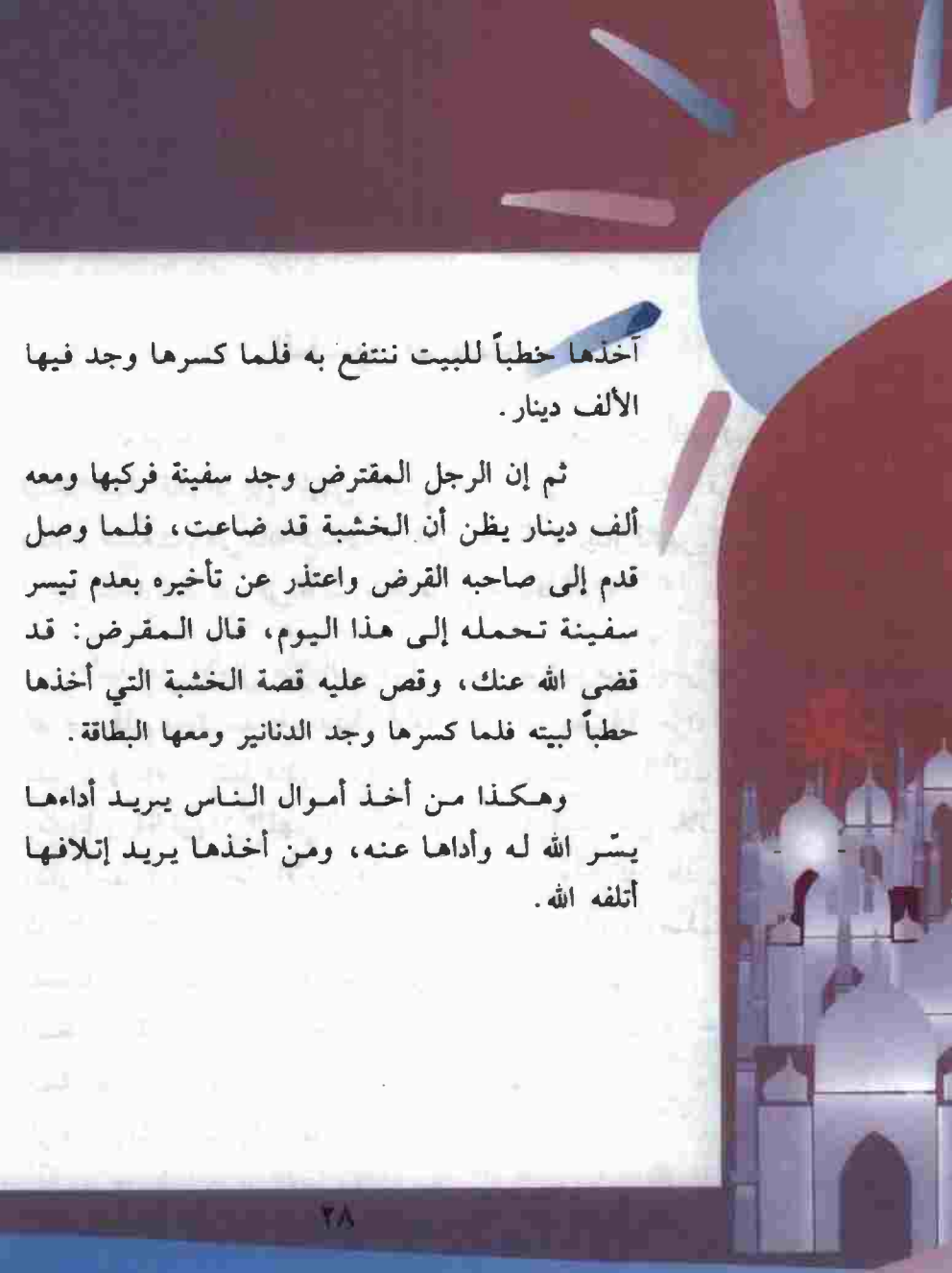

أخذها حطباً للبيت ننتفع به فلما كسرها وجد فيها الألف دينار.

ثم إن الرجل المقترض وجد سفينة فركبها ومعه ألف دينار يظن أن الخشبة قد ضاعت، فلما وصل قدم إلى صاحبه القرض واعتذر عن تأخيره بعدم تيسر سفينة تحمله إلى هذا اليوم، قال المقرض: قد قضى الله عنك، وقص عليه قصة الخشبة التي أخذها حطباً لبيته فلما كسرها وجد الدنانير ومعها البطاقة.

وهكذا من أخذ أموال الناس يريد أداءها يسّر الله له وأداها عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله.

كلب وديك وحمار

على المؤمن أن يسلم أمره لله ويرضى بقضاء الله ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ [النساء/ ١٩] ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ [البقرة/ ٢١٦].

يُحكىٰ أن جماعة من البدو يسكنون الخيام ويعيشون في الظلام، وكان عندهم ديك وكلب وحمار.

خطف الثعلب الديك فقال شيخ العشيرة: خير إن شاء الله، ثم مات الكلب فقال أيضاً: خير إن شاء الله، ثم مات الحمار أخيراً فقال لهم: عسى أن يكون خيراً لنا.

قال القوم: إن هذه خسارات ومصائب فأيُّ خير فيها؟ قال شيخهم: سترون عاقبة ذلك، وكان هذا الرجل مؤمناً حقاً.

هجم عدو لهم على تلك الخيام، وأخذوا ما فيها في شدة الظلام، وكانوا يستدلون على مواضعها

المتفرقة بصياح الديكة أو نباح الكلاب أو نهيق الحمير، ولم يسلم إلاّ أهل الخيام الذين مات ديكهم وكلبهم وحمارهم.

قال شيخ القوم: ألم أقل لكم دائماً: خير إن شاء الله، إن العدو كان يستدل على خيام غيركم ومواضعها بصوت الديك والحمار والكلب، فاحمدوا الله الذي سلمكم إذ موت حمار وديك وكلب خير لكم من سلبكم وأسركم.

فكم من نعمة في شكل نقمة، وكم من رحمة ضمن مصيبة، فعليكم بالرضى والتسليم، فالله رؤوف رحيم وهو بمصالح عباده عليم، وفي الخبر: عبدي لا تخبرني بما يصلحك فأنا به عليم.

صاحبة اللبن

كان من عادة سيدنا عمر بن الخطاب أيام خلافته أن يتفقد رعيته ليلاً يرعى الضائع، ويواسي المحروم، فمر في ضاحية المدينة بخيمة فيها امرأة عجوز وابنتها.

قالت الأم لابنتها: قومي فامزجي اللبن (اخلطي الحليب بالماء) فقد قرب الصبح لنبيعه في المدينة.

قالت البنت لأمها: يا أم خلط اللبن بالماء حرام لا أفعله لا سيما وقد نهى عنه أمير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه!!

قالت الأم: وأين عمر؟ إنه لا يرانا ولا يعرفنا.

أجابت البنت: إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا!!

تأكد سيدنا عمر من مكان الخيمة، ثم سأل عن صاحبتها، حتى عرفها وابنتها، قال لأبنائه ـ بعدما قص عليهم ما جرى من الحوار بينها وبين ابنتها: يا أبنائي من منكم يرغب أن يتزوج هذه البنت التقية

المخلصة التي تخاف ربها؟ قال ابنه عاصم: أنا يا أمير المؤمنين.

خطبها عمر لابنه عاصم وزوجها إياه، فولدت بنتاً، تزوجها عبد العزيز ابن مروان، فولدت له عمر بن عبد العزيز: الذي أصبح خليفة راشد، ومضرب المثل في العدل والزهد، كيف لا وجدته صاحبة اللبن، وجده عاصم بن سيدنا عمر بن الخطاب، وعمر لا نظير له في عدله وتقواه.